العقيدة في الاسلام

بقلم : أحمد عبد الرحيم السايح

قال تعالى : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » ٠٠ (1)

استمر على الدين الذى شرعه الله لك من الحنيفية ٠٠ ملة ابراهيم ٠ الذى هداك الله لها ، وكملها لك غاية الكمال ٠٠ وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التى فطر الله الخلق عليها ٠٠ فان الله تعالى فطر خلقه على معرفته ، وتوحيده ، وأنه لا إله غيره ؟٠

الاسلام ٠٠ أقام عقيدته على الايمان بالله ٠٠ وأن الله رب كل شىء ، ومليك كل شىء ، وأن العبادة له وحده ، ولا تصح لغيره ٠٠

ومن هنا كان المسلم مؤمنا بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، والثواب ، والعقاب ، والجنة والنار ٠٠ وكان منقادا لأوامر الله ، واقفا عند حدودها ٠٠

والايمان بالله يعرفنا ٠٠ أنه لا يعزب عن قدرة الله وعلمه ، مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ، وأنه المتصرف فى كل شىء ٠٠ وأن الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم والجبال ، والشجر والدواب ، والهواء والماء ، والارض والسماء ، كلها أشياء تدل على عظمة الله وقدرته ووجوده٠٠ وتوجب إفراده بالعبادة ٠٠ والايمان بالله فطرى ضرورى ٠٠ وهو أشد الاشياء رسوخا فى النفس ٠٠٠ والتدين عنصر ضرورى ، لتكميل الفطرة فى الانسان ٠٠

فيه وحده يجد العقل تحقيق مطامحه العليا ، كما يجد الوجدان فى التدين ضالته المنشودة ٠٠ لتحقيق عواطفه النبيلة ، من الحب ، والشوق ، والشكر ،

---

(1) سورة الروم ٠٠ آية رقم 30 ٠٠

(2) تفسير القرآن العظيم ٠ لابن كثير ٠ الجزء الثالث ص 432 ٠٠

والحياء ، والأمل ·· وهو عنصر ضرورى لتكميل قوة الارادة ، يمدها بأعظم الدوافع ، والبواعث ·· ويدركها بأكبر وسائل المقاومة ، لعـوامل اليـأس والقنـوط (3) ··

والانسان بفطرته لا يملك أن يستقر فى هذا الكون الهائل ·· فلا بـد له من رباط معين بهذا الكون ، يضمن له الاستقرار فيه ، ومعرفة مكانه فى هذا الكون الذى يستقر فيه ··

فلا بد له إذن من عقيدة تفسر له ما حوله ، وتفسر له مكانه فيما حوله ، فهى ضرورة فطرية ، شعورية ·· لا علاقة لها بملابسات العصر والبيئـة ، وكم كان شقاء الانسان وحيرته وضلاله ، حين أخطأ فهم حقيقة هذا الارتباط ، وحقيقة هذا التفسير (4) ·

فحاجة الانسان الى الدين ·· حاجة فطرية ، مركوزة فى فطرته ، ومغروسة فى شعوره ، ومخلوطة بدمه وعصبه ··

ولكنه ، قد يضل عن إدراك هذه الحقيقـة ·· فيشقى ، ويحـار ، ويفقـد الاستقـرار ··

هذه الحاجة الفطرية فى الانسان الى الدين ·· هى التى يتحقق بها إدراكه لحقيقة مقامه فى هذه الحياة ، ورسالته ، وعمله ، ودوره ·· الذى يجب عليه ، أن يؤديه متعاونا مع كل إنسان آخر ·· يقوم هو أيضا برسالته ، وعملـه ، ودوره فى الحياة (5) ··

فالايمان بالاله الفرد الحق الصمد ·· فطرة فطر الله الناس عليها ·· وإنما يضلون عنها بعض الوقت ، أو كل الوقت ·· ثم يعودون إليها ، ولـو عنـد فراق الحياة ، أو عند نزول الكوارث ، والأحداث ··

---

(3) انظر : كتاب الدين · للدكتور محمد عبد الله دراز · كلمات الامام ابن تيميـة ··

(4) انظر : كتاب خصائص التصور الاسلامى ··

(5) راجع محاضرة (الدين فطرة وميثاق) للاستاذ أحمد محمد جمال · من كتاب ندوة المحاضرات · موسم حج 1389 هـ رابطة العالم الاسلامى ·· مكة المكرمة ··

فقد كان فرعون يدعى الألوهية ·· ويقول لقومه : « أنا ربكم الأعلى » ، وسام بنى اسرائيل سوء العذاب ·· وكفر بموسى ، وإله موسى ·· ولكنه عندما ادركه الغرق ·· قال : « **آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين** » ··

والمشركون بالله ، والكافرون به ، فى كل الأجيال ·· كانوا يعبدون الأصنام ، ويستقسمون بالأزلام ·· فاذا مسهم الضر فى البر ، أو فى البحر ·· لجأوا الى الله ، يدعونه ويسألونه النجاة ·· فاذا أنجاهم عادوا مشركين ، وأمسوا كافرين ، والى هذا تشير آيات قرآنية كثيرة ··

منها قوله تعالى : » **واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه** » (6) ··

وتقف العقيدة الاسلامية فى كل عصر ، مهيمنة على كل المبادىء الفكرية المستحدثة ·· ذلك أن الدين الاسلامى ، يرى أن هذه القوى المادية ، لا تستطيع إسعاد الانسانية ·· لأن هناك قوة أعظم ، هى قوة الله سبحانه وتعالى ·· تلك القوة التى تدعو للاستقامة ، وتنهى عن الانحراف إيا كان نوعه ··

قال تعالى : « **فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ··· »** ··

وعلى هذا ·· فان العقيدة الاسلامية ·· ضرورة للانسان · لرفع مستواه والمحافظة عليه من الانحراف الالحادى والمادى ··

وفى ظلال العقيدة الاسلامية ·· يحصل الاطمئنان النفسى ، ويشعر المسلم بالصلة المتينة بينه وبين خالقه ·· وتتخلص نفسه من المعتقدات الخرافية ، والضالة ·· فيرقى مستواه الفكرى ··

وقد كان الانسان فى الماضى يعبد ما لا ينفع ولا يضر ، وكان يخاف من كل شىء ، ويمنع نفسه من التأمل ··

---

(6) انظر : ندوة المحاضرات · موسم حج 1389 هـ مكة المكرمة ··

فجاء الدين الحق · ودعاه الى التحرر من خـوف غيـر اللـه ، واعتبار كل ما عداه مخلوقا من المخلوقات ··

وبهذا تغيرت نظرة انسان الى الكائنات ، وأخذ فى إخضاعها الى مصالحه ، وتسخيرها لفائدته ، دون تهيب أو تقديس ··

إن العقيدة الاسلامية تقوى الاتصال بالله ، وتبعث فى النفس اطمئنانا ، يقوى عزيمة المؤمن ·· فلا يصل الى نفسه اليأس ، ويتغلب على مصاعب الحياة بقوة إيمانه ، بخلاف الملحد ·· فانه اذا غمرته الشدائد ، تسود الدنيـا فى عينه ، ويفقد الثقة فى نفسه ، ولا يعرف مآل مصيره ··

إن صاحب العقيدة الاسلامية الصافية ·· يصبح صالحا فى نفسه ، مصلحا لمجتمعه ·· يسعى لجلب الخير ، ويعمل جهده فى دفع الضر ·· لأن عقيـدته توجب عليه إصلاح نفسه ومجتمعه ··

بخلاف التيارات المادية ، والالحادية ·· فانها تخضع لسيطرة القـوى من البشر ·· غير أبهة بمصلحة المجتمعـات والافـراد ·· إلا بقـدر مصلحـة المسيطرين عليها ··

والعقيدة الاسلامية ، تنفى كل مبدأ أو تيار ، لا يرتكز على عقيدة الايمان بالله واليوم الآخر ·· كمـا أنهـا تدعـو الى تـرابط الجماعـات الاسـلامية وتماسكهـا ··

بخلاف التيارات والمبادىء الحديثة التى تفتقر الى الدعائم الروحانية ، ولا تستطيع بدونها البقاء والاستمرار ·· ذلك أنها مبنية على مصلحة فئة معينة من البشر ، وترفضها فئات كثيـرة ، من بنى الانسـان ، بحكـم مبـاينتها لمصالحها (7) ··

وعلى هذا ·· فان العقيدة الاسلامية ، وتعاليمها السمحة ·· هى الضـامن الوحيد ، لسعادة البشرية جمعاء ·· لما تنطوى عليه من مصالح ، وتنهى عنه من مفاسد ··

---

(7) مقرر التوحيد والفقه · الصف الثالث المتوسط 1394 هـ · وزارة المعارف السعودية ·

والعقيدة الاسلامية ، تمقت الالحاد ، لأنه يخرج بالانسان ، من دائرة الايمان ، والاعتراف بخالق مدبر ·· الى حياة لا تخضع لنواميس روحانية ، إلاهية ·· بل تصبح حياة بهيمية لا تستجيب لوجدان ، ولا تتقيد بأخلاق دين ··

والعقيدة الاسلامية ·· تنهى عن عبادة المادة ، والاستماتة فى طلبها ، وتجعل الروابط بين الافراد والمجتمعات على أساس المعتقد ·· لا على أساس المصالح المادية التى لا تلبث أن تتغير وتتعارض ··

وبجانب هذا ·· فان العقيدة الاسلامية ·· عقيدة قيم ، وضوابط سلوكية ، مادية ومعنوية ··

وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الافراد ، ويتصل بعضها بحياة الجماعات ، وبهذا كانت العقيدة فى الاسلام ·· تعطى نظاما كاملا متكاملا للحياة ، سواء من وجهة نظر الفرد ، أم من وجهة نظر الجماعة ··

والذين يريدون من الناس ، أن يتخففوا من العقيدة ، وأن يتخلصوا من الارتباط بها ·· إنما يوجهون المجتمع توجيها ضارا به ، مفسدا له ، مفضيا به الى شر عظيم ··

وتدل الدراسات النفسية ، للافراد والجماعات ·· على أن الارادة ، تخضع الى حد بعيد ، للقوة العقلية ··

فاذا اقتنع العقل ·· وجه الارادة ، وبعث الرغبة ·· وصار الاقتناع هو القوة المحركة ، والفاعلية المؤثرة ··

والعقيدة الاسلامية ·· تتفق مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ولهذا كانت ذات تأثير قوى ، يثير العزائم إثارة قوية ·· ·

وهى واحدة ، مهما اختلفت بالمسلمين الديار ، وتناءت بهم الاقطار ·· ومهما تباينت الاجناس ، وتمايزت الالوان ··

وما أعظم عقيدة المسلمين ·· إنها جامعة إسلامية عريقة ، تعمل على جمع المسلمين ·· وتحرص على تكامل اخوتهم فى ظل : لا إله إلا الله ··

ورابطة العقيدة ·· أعلى وأقوى من رابطة الدم والنسب والوطن ·